بسم الله الرحمن الرحيم

Mustafa CERIĆ, Ph.D.
GRAND MUFTI EMERITUS OF BOSNIA
Member of the Academy BANU and RSS

دار العلم للإمام الخوئي

فضيلة الدكتور جواد الخوئي

الاحتفال الكبير بمناسبة ولادة النبي الأكرم
محمد صلي الله عليه وعلي أله وصحبه المنتبجين

مدينة النجف الأشرف
يوم الأربعاء ٢٠٢٥/٠٩/١٠

د. مصطفي ابراهيم تيسيرتش
المفتي العام في البوسنة السابق

كلمة في الافتتاح:
سمو أخلاق النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وأثرها في بناء الأمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله، وجعله رحمةً مهداة، وسراجًا منيرًا، ونورًا يُهتدى به في ظلمات الجهل والظلم والقسوة.

الحمد لله الذي بعث نبيه الأكرم محمدًا صلي الله عليه وعلي أله وصحبه المنتبجين ليتمم مكارم الأخلاق، ويقيم بها صرح الإنسانية على أسس من الرحمة والعدل والكرامة.

والصلاة والسلام على خير خلق الله، المعلم الأول للأخلاق، من قال عنه ربه سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها السادة العلماء، أيها الإخوة والأخوات في هذه المدينة المقدسة، مدينة النجف الأشرف، مدينة العلم والإيمان والروحانية،
يشرفني أن أقف بينكم في هذا اليوم المبارك لأتحدث عن سمو أخلاق النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأثرها العظيم في بناء الأمة، وفي ترسيخ القيم التي جعلت من الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس.

لا يخفي علي أحد ذي عقل مفتوح ونفس مسؤولة باننا نعيش اليوم في زمنٍ يضجّ بالألم، وتضيق فيه الأرض بما رحبت على المظلوم في غرة – ارض الكنانة، حيث تتنازع فيه البشرية بين قسوة المصالح وبرودة الماديات، فلذا تشتد الحاجة إلى استدعاء النور النبويّ، لا سردًا تاريخيًا، بل استلهامًا أخلاقيًا وروحيًا وفكريًا.

لقد جاء النبي محمد ﷺ في زمن غابت فيه القيم، وضاعت فيه معاني الإنسانية تحت ركام الجاهلية؛ حيث العصبية القبلية، والاستبداد الاجتماعي، والظلم الاقتصادي، والانحلال الأخلاقي.

وفي وسط هذا الظلام الدامس، أشرق نور النبوة، حاملاً رسالة أخلاقية بامتياز، تبدأ بإصلاح الفرد وتنتهي ببناء مجتمع متماسك قائم على العدل والإحسان.

سمو الأخلاق النبوية ليس مجرد فضائل نظرية، بل هي سلوك عملي عاشه النبي ﷺ في حياته كلها: كان صادقًا حتى لُقب بالصادق الأمين قبل بعثته، وكان رحيماً حتى مع أعدائه، وكان حليمًا حتى مع من أساء إليه. وكان من صفاته أنه لا يغضب لنفسه، بل يغضب للحق، ولا ينتصر لذاته، بل ينصر المظلوم والضعيف.

أيها الأحبة،
لقد كانت أخلاق النبي ﷺ حجر الأساس في بناء الأمة. فبهذه الأخلاق تأسست الثقة بين القائد وأتباعه، فاجتمع حوله الناس من كل قبيلة وعرق. فبهذه الأخلاق تحول الأعداء إلى أصدقاء، والمشركون إلى مؤمنين، والضعفاء إلى قادة. ولقد علمنا النبي أن الأمة لا تُبنى بالسيوف وحدها، بل تُبنى أولاً بالأخلاق التي تصنع الإنسان الصالح.

وفي وثيقة المدينة، التي وضعها النبي ﷺ، نجد ميثاقًا أخلاقيًا يقوم على العدل، وحماية الحقوق، والتعايش السلمي بين مختلف المكونات الدينية والاجتماعية.

وهكذا أرسا النبي الاكرم قواعد أمة متحدة رغم تنوعها، قوية رغم اختلافاتها، لأنها اجتمعت على القيم المشتركة.

أيها الحضور الكريم،
اليوم، في ظل ما يشهده عالمنا من انهيار في منظومات القيم، ومن تصاعد للكراهية والعنف، ومن تفكك للأسرة والمجتمع، تتأكد الحاجة إلى استلهام سمو أخلاق النبي ﷺ لإعادة بناء الأمة على أسس راسخة.
علينا أن نعيد أخلاق الصدق والأمانة في تعاملاتنا، أخلاق العدل والرحمة في مؤسساتنا، وأخلاق التعاون والإيثار في مجتمعاتنا.

إن سمو الأخلاق النبوية هو المفتاح الحقيقي لنهضة الأمة. فالأمة التي تفقد أخلاقها تفقد هويتها، وإذا فقدت هويتها تلاشت قوتها. والأمة التي تحيي أخلاق نبيها ﷺ، أمة لا تقهر مهما تكالبت عليها التحديات.

عندما نتأمل في سيرة النبي الأكرم محمد ﷺ، لا نرى فقط قائدًا عسكريًا أو مشرعًا حكيمًا، بل نرى إنسانًا عظيمًا صنع أمةً بعظمة أخلاقه.

لقد جمع ﷺ في شخصه صفات قلّ أن تجتمع في بشر، صفات لم تكن شعارات، بل كانت حياةً تُعاش وسلوكًا يُقتدى به.

الرحمة التي أحيت القلوب

أول ما يلمس القلب في شخصية النبي ﷺ هو رحمته. لم تكن رحمته مقصورة على المسلمين وحدهم، بل شملت المؤمن والكافر، الصديق والعدو، الإنسان والحيوان. قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

وقد جسّد النبي ﷺ في سلوكه اليومي هذه الرحمة في كل موقف: من رحمته بالأطفال، وبالضعفاء، وحتى بمن عاداه وآذاه. وكانت رحمته أساسًا لبناء مجتمع جديد، فيه العدالة والتكافل ورفع الظلم.

إن الرحمة النبوية لم تكن رد فعل على القسوة، بل مشروعًا بنّاءً لإعادة صياغة الإنسان والمجتمع على ميزان المودة والكرامة. بهذه الرحمة، أسس ﷺ مجتمعًا يرفض القسوة، ويرى في كل إنسان كرامة لا تُمسّ.

العدل الذي أقام الموازين

ومن صفاته العظيمة العدل، عدل لا يعرف محاباة ولا ظلمًا. كان ﷺ يقيم الحق ولو على نفسه أو أحب الناس إليه. فقد ورد في الحديث الشريف قوله: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". هذا العدل جعل الأمة الإسلامية منذ بداياتها نموذجًا في احترام الحقوق، وحفظ الكرامة،

وتطبيق القوانين بلا استثناء. إن العدالة النبوية كانت بين القوة والرِّفق. ففي سيرته العدالة ليست حكمًا جافًا، بل ميزانٌ رفيع بين الحقوق والقلوب. فكان يعدل بين الناس جميعًا، لا يُفرّق بين قريب وبعيد.

التواضع الذي جمع القلوب

كان النبي ﷺ رغم مكانته العظمى متواضعًا، يجلس حيث ينتهي به المجلس، ويأكل مع الفقراء، ويخيط ثوبه بيده. تواضعه لم يُنقص من هيبته، بل زادها؛ لأنه كان تواضع القوي الذي يعرف قدر نفسه أمام الله.

بهذا التواضع، أحبّه الناس، واتبعوه بإخلاص، وشعروا أن القائد ليس بعيدًا عنهم بل قريبًا من قلوبهم.

الصبر الذي صنع التاريخ

تحمل النبي ﷺ في سبيل دعوته ما لا يطيقه بشر: السخرية، الحصار، التعذيب، فقد الأحبة، والمؤامرات.

ومع ذلك، صبر صبرًا عظيمًا، لأن رسالته أكبر من جراحه. قال تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾. هذا الصبر كان مدرسة للأمة في مواجهة الابتلاءات دون يأس أو استسلام.

الوفاء الذي حفظ العهود

كان ﷺ وفيًّا في عهوده، لا يغدر ولا يخون، حتى مع من خانوه. وفي حياته الخاصة، كان وفيًّا لأصحابه وأزواجه وأصدقائه. عندما ذُكرت خديجة بعد وفاتها، بكى وقال: "إني قد رُزقت حبها". بهذا الوفاء، علّم الأمة أن العلاقات تُبنى على الإخلاص لا على المصلحة.

الحكمة التي أرشدت العقول

وأخيرًا، كانت الحكمة تاج صفاته. لم يكن ﷺ يتسرع في حكم أو قرار، بل كان يستشير، يتأنى، ويضع كل شيء في موضعه الصحيح. بهذه الحكمة، استطاع أن يحول مجتمعًا قبليًا متناحرًا إلى أمة موحدة قوية تحمل رسالة خالدة.

هذه الصفات العظيمة – الرحمة، العدل، التواضع، الصبر، الوفاء، والحكمة – لم تكن مجرد خصال شخصية، بل كانت أسسًا لصناعة أمة حملت النور إلى العالم. كلما ابتعدنا عن هذه الصفات، ضعفت الأمة وتفرقت. وكلما عدنا إليها، عادت لنا قوتنا وهيبتنا. فلنتأمل في سيرته ﷺ، لا لنروي قصصًا، بل لنبني بها حاضرًا ومستقبلًا يليق برسالته.

أيها السادة العلماء، أيها الإخوة والأخوات في هذه المدينة الشريفة، مدينة العلم والإيمان والروحانية،

ما أحوجنا اليوم، في زمنٍ تتكالب فيه الظلمات على قلوب البشر، إلى أن نرفع أصواتنا عاليةً بالحق، ونعلن أن النبي الأكرم محمدًا ﷺ هو قدوة للعالمين: قدوة للإنسان في إنسانيته، للعالم في عدله، للقائد في حكمته، وللمظلوم في صبره.

نقول ذلك اليوم في ظل الإبادة الجماعية التي يتعرض لها إخوتنا في غزة المحاصرة، حيث يُقتل الأطفال جوعًا وبردًا، وتُهدم البيوت على رؤوس أهلها، وتُترك الجثث تحت الركام لأيام. يحدث ذلك كله أمام أعين عالمٍ أعمى وأبكم، عالمٍ يدعي الحضارة لكنه يصمت أمام أبشع الجرائم، بل يشارك فيها بالصمت أو الدعم.

غزة اليوم مرآة العالم

غزة اليوم تكشف لنا الوجه الحقيقي لعالمٍ فقد إنسانيته، عالمٍ تغلبت فيه المصالح على القيم، وصوت السلاح على صوت الضمير. لكن غزة أيضًا تكشف لنا أن نور الحق لا يُطفأ، وأن الأمة التي تتمسك بنهج نبيها لا تُهزم مهما اشتد البلاء.

النبي ﷺ قدوة النجاة

إن هذا النبي ﷺ ليس فقط قدوة للمسلمين، بل قدوة لكل إنسانٍ يريد أن يكون حرًا كريمًا. هو قدوة في مواجهة الظلم بالصبر، وفي مقاومة الباطل بالحق، وفي بناء مجتمعٍ يقوم على الرحمة والعدل.

على العلماء أن يقودوا بالبصيرة

اليوم، المسؤولية الكبرى تقع على العلماء والمفكرين، أن يرفعوا صوت الحق، أن يقودوا الأمة بالوعي، أن يكونوا ورثة الأنبياء حقًا. عليهم أن يقولوا للعالم: إن العدالة ليست شعارًا، بل التزام، وإن الصمت أمام الجريمة مشاركة فيها.

اتباع النبي ﷺ طريق الحياة

علينا جميعًا – شعوبًا وقادة – أن نعود إلى سيرة النبي ﷺ، إلى قيمه ومبادئه، لا لنرويها في الكتب، بل لنعيشها في الواقع. إذا أردنا السلام في الدنيا والنجاة في الآخرة، فليس لنا إلا طريقه ﷺ: طريق الرحمة، العدل، الصبر، والثبات على الحق.

ما أحوجنا اليوم أن نقول للعالم أجمع: إن من يريد الحياة بكرامة، ومن يريد النجاة في الآخرة، فعليه أن يتبع محمدًا ﷺ، نبي الرحمة والعدل والإنسانية.

وفي الختام، ونحن في رحاب النجف الأشرف، هذه المدينة التي احتضنت إرث آل البيت عليهم السلام، الذين ورثوا عن النبي ﷺ مكارم الأخلاق وحملوا راية الإصلاح، نجدد العهد أن نكون أوفياء لرسالة نبينا الكريم، وأن نعمل على ترسيخ القيم التي جاء بها، قيم المحبة والرحمة والعدل، وأن نحمل هذا النور لنضيء به حاضرنا ومستقبلنا.

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.